المحاضرة الخامسة:

الشعر الإصلاحي الديني الجزائري

التعريف بهذا الاتجاه الشعري:

يصفه الدكتور "عبد الله الركيبي" بأنه "شعر الدعوة"، أما "أبو القاسم سعد الله" فيقسمه إلى ثلاثة مراحل يطلق عليها "شعر الأجراس 1925-1936"، "شعر البناء 1936-1945"، "شعر الهدف 1945-1954"، وكل هذه العناوين توحي بوظيفة هذا الاتجاه. يرجع ظهوره إلى سنة 1925، ويعنى بمحاولة إيقاظ وعي الجزائريين وصناعة نهضة فكرية تربوية أخلاقية إصلاحية، من أهم شعرائه "محمد العيد آل خليفة، الأمين العمودي، أبو اليقظان، وغيرهم.

المناخ الذي ظهر فيه:

ارتبط ظهور الشعر الإصلاحي الديني في الجزائر بظهور جملة من الحركات الوطنية والإصلاحية، والتي استهدفت في أغلبها النهوض بالمجتمع وإصلاحه وانتشاله من الظروف المزرية التي خلفها الاستعمار الفرنسي، عبر صياغة أسس ومبادئ تقوم على الدين الإسلامي والقومية العربية الأصيلة، ومن أهم هذه الحركات: "حركة: نجم أفريقيا، بزعامة الحاج على عبد القادر في سنة ١٩٣٥. كما تأسست سنة ٩٣٥ "جمعية النواب"، تحت قيادة فرحات عباس وابن جلول، وبرزت الى الوجود عام ١٩٣٦ منظمة إصلاحية بزعامة الامام عبد الحميد بن باديس. باسم "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، وقد قامت هذه الحركة في الواقع بعد الحرب الأولى مباشرة، وبدأت تدعو الى تحرير الدين من الوهم والخرافات التي مسخته حتى أصبح شبحا بلا روح. وفي سنة ١٩٣٧ تأسس "حزب الشعب الجزائري"، بزعامة بمصالي الحاج الذى أصبح فيما بعد يحمل عنوان: انتصار الحريات الديموقراطية وفي سنة ١٩٤٣ وقع ٢٨ نائبا بيانا برياسة فرحات عباس، وفى سنة ١٩٤٤ تم تأسيس "أحباب البيان والحرية"، وقد جمعت هذه المنظمة كافة الحركات الوطنية بدون استثناء وقد انقسمت هذه الحركة بعد ٨ مايو ١٩٤٥".

ولعل أبرز منحى سلكه الشعر في هذه الفترة هو الاتجاه الديني، وما يفسر لنا هذا، عدة أمور منها:

-حركة الإصلاح وربط حاضر الأمة بماضيها، وهي تعد نقطة تحول بارزة في تاريخ الجزائر الفكري والفني.

-الوقوف عند السيرورة التاريخية، أي أنّ الصراع الذي قام بين حركة الإصلاح وفلسفة الاستعمار الصليبي (فرنسا) صراع ديني قائم على الخداع قبل أن يكون حربا استعمارية "وقد كان هذا الخداع حتى لا تتحرك العاطفة الدينية عند المسلمين، فيهبوا للدفاع عن دينهم لأنه من مصلحة النصارى ألاّ يفهم المسلمون هذه الحقيقة وليدافع المسلمون عن وطنهم كما يشاءون".

-الانخراط شبه الكلي لشعراء ما قبل الثورة في الحركة الإصلاحية والشاعر في هذه الآونة كان بصدد تطبيق وتبليغ رسالة سماوية، حيث حارب العدو وأعلن رفضه، للانتماء لعقيدة غير عقيدة الإسلام.

عالج الشعر الإصلاحي قضايا متعددة من بينها الحرية، فهي المطلب الرئيسي لكافة أطياف المجتمع الجزائري، يقول الشاعر محمد العيد آل خليفة:

فهل للمسلمين اليوم عود إلى ما ضاع من شرف الجدود
وهل لرجالهم عزمات صدق إلى الأهداف تقدح كالزنود
وهل شعب الجزائر مستيقن من الأحلام مطرح الركّود
وهل بالتحرير سوف يحظى كأمة "ليبيا" أو "الهنود"
ولا يعطي التحرّر غير شعب يجيب إلى المعامع حيث نودي

خصائصه الفنية:

من أبرز خصائص الشعر الإصلاحي الديني في قالبه التقليدي المحافظ، "جزالة اللفظ وحبك العبارة والمحافظة على القوالب العتيقة وفقدان الروح الفنية التجديدية، وعدم الوحدة الموضوعية والعضوية في القصيدة والكلف بالحكمة والتقرير والتعميم في الأحكام والاحتواء على العبارات الدينية والتاريخية على أساس التضمين والاقتباس. كذلك يتميز بطول النفس والبساطة والتمهيد بالمقدمات الطويلة".

ويذهب الناقد "أبو القاسم سعد الله كذلك إلى انتقاد البنية التقليدية بقوله: "وقد جمد الشعراء فلم يحاولوا الثورة على الطريقة التقليدية ولم يحاولوا التخفيف من طابع القديم، فاذا ما حاول بعضهم، مثل الطاهر البوشوشي وجلول البدوي والأخضر

السائحي، فان ذلك لا يعدو تصفيف الكلمات وترقيق العبارة. أما ما يخص الأغراض البلاغية (كالطباق، والاقتباس، والتضمين) وما يتعلق بالقافية والوزن الغاء وتصرفًا، فهذا ما لم يفعل الشعراء ازاءه شيئًا".

اقرأ مثلا هذا لمحمد العيد:

النيابات كلها نائبات والقيادات كلها أقياد

إن للعرب في الحضارة قدما قدما للورى عليها اعتماد

نتواصى بالحق والصبر فيه والتواصي تضامن وجهاد

وأقرأ كذلك هذا البيت لعبد الكريم العقون:

كذا العرب جسم واحد أن يذق أذى تداعت له الأعضاء بالسهر والضر

أو هذا لأحمد سحنون:

وما الشعر إلا ثورة غير أنها تصول بلا كف وتسعى بلا رجل

فمن المآخذ التي أشار إليها مثلا الناقد "محمد مصايف" في دراسته لقصيدة "هيهات يخزى المسلمون" للشاعر "محمد العيد آل خليفة" قوله: " وكل ما أستطيع أن آخذه عليه في هذه القصيدة هو التفكك في الموضوع، وهذا التعبير المباشر الذي آثره على استعمال الخيال الذي كثيرا ما يرجى في النصوص الشعرية".

مراجع المحاضرة:

1-أبو القاسم سعد الله: في الأدب الجزائري الحديث، ط5، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.

2-محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925-1975، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، (د.ت).

3-عبد الله الركيبي: دراسات في الشعر العربي الجزائري الحديث، (د.ط)، الدار القومية للطباعة والنشر، سلسلة كتب ثقافية، العدد 178، مصر، (د.ت).

4- محمد مصايف: فصول في النقد الجزائري الحديث، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

5-محمد موسوني، مدخل إلى الشعر الديني الجزائري الحديث، مجلة حوليات التراث، العدد 01، جامعة مستغانم، الجزائر، 2004.